



## التحليل النقدي للمنهج الاستشراقي في الدراسات القرآنية

**Title:** Critical Analysis of Orientalistic Methodology in Quranic Studies

**Author (s):** Muhammad Saleem\*

**Affiliation (s):** \*PhD Scholar ITC, University of Management and Technology, Lahore

**History:** Received: Jan 07, 2022, Revised: Mar 01, 2022, Accepted: April 14, 2022, Available Online: Jul 26, 2022

**Citation:** Saleem, Muhammad. " Muslim Exegetical Literature on the divinity of Christ and the Trinity: Analysis of pre and post-Colonial Writings." *Tanāzur* , 3, no.1 (2022): 81–95.

**Copyright:** © The Authors



Article QR

**Conflict of Interest:** Author(s) declared no conflict of interest

**Homepage:** <http://tanazur.com.pk/index.php/tanazur/index>

## التحليل النقدي للمنهج الاستشراقي في الدراسات القرآنية

**Critical Analysis of Orientalistic Methodology in Quranic Studies****Syeda Ayesha Rizvi**Lecturer, Islamic Studies,  
The University of Lahore.**Abstract**

Orientalists showed great interest in studying Qur'anic sciences and rest of Islamic sciences. These sciences are considered as expressive and reassuring fields that help to understanding the Qur'an better and recognizing its core message. However, there is no doubt that such fields often make the first choice for most orientalists, either by studying and searching or analyzing and critiquing. But such studies may not be taken into account as they usually tend to falsify axioms held by Muslims and question their indubitable beliefs. In spite of that, this does not necessarily restrain us from examining these studies to be acquainted with what has been and is said about the Qur'an to reveal orientalists method of research. This study aims at revealing the methodology of orientalists in employing books of Qur'anic sciences and tafseer in their research and their method in studying them. However, the results of this study are likely to be partial but neither comprehensive nor related to a particular methodology. This is because, the topic is relatively new and only few papers have been written on it. Besides, in order for this study to be more fruitful it needs long experience and deep readings in books written by orientalists in the field of Qur'anic sciences. In spite of that, a thorough examining of orientalists' most popular books in Qur'anic sciences and tafseer is sufficient to give general idea about the main features of orientalists' methodology in studying Qur'anic sciences and tafseer.

**Keywords:** Orientalism, Quran, Methodology, Quranic sciences, Tafseer

## مقدمة:

لقد انساق المستشرقون المعاصرون مع اسلافهم في اتباع منهج الشك والمبالغة في اثاره الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة، والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا في ذلك على عملية الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة الى ما يصبون اليه من نتائج عكسية، كما ان عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم الى الشك في امانة نقله وسلامة تليغته، اضافة الى الشك في جمعه وترتيبه، وهكذا يدعى كثير من المستشرقين ان النص القرآني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد نالته بعد افضاءه به الى الناس تعديلات بالزيادة والنقصان خاصة في صورته المكتوبة<sup>1</sup>،

ووجدوا في موضوع اختلاف المصاحف الخاصة التي كانت بايدي بعض الصحابة ميدانا يخبون فيه ليشفوا رغبة في صدورهم وهي زلزلة العقيدة وفتح ابواب الشكوك والارتياب. ان هؤلاء المستشرقون كانوا يعرفون ان الشك في نص يوجب الشك في آخر، ولذلك فهم يلحون في طلب روايات الاختلاف وينقلونها في غير تحرز ويؤيدونها غالباً ولا يمتحنون اسانيداً ولا يلتفتون الى آراء علماء المسلمين فيها.

Arthur Jeffery<sup>2</sup> قد جمع الاختلافات المنسوبة الى المصاحف الفردية لبعض الصحابة امثال ابن مسعود وابي بن كعب وعلى بن ابي طالب وابن عباس وابي موسى الاشعري وحفصة و انس بن مالك وغيرهم كما جمع الاختلافات المنسوبة إلى بعض مصاحف التابعين، وقد جمع ذلك من مختلف المصادر القديمة التي احتفظت بالروايات الأحاد والشاذة المنسوبة إليهم، وبخاصة تفسير الطبري الذي استقصى الشيء الكثير من ذلك.

ومع أن بعضهم لا يجدون مناصبة من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية، وبعضها الأخر يشعر أنها مما اخترعه بعض اللغويين الذين نسبوها لهؤلاء

<sup>1</sup> Encyclopedia de Islam, 2eme edition 1985 (5/405)

<sup>2</sup> Arthur Jeffery قام باشاعة كتاب المصاحف ، الفه ابن ابي داؤد المتوفى ٣١٦هـ وقد كتب في بداية الكتاب مقدمة مطولة باللغة الانجليزية و كتب ما زعم انها مصاحف الصحابة الخاصة.

Arthur Jeffery, Materials for the History of the Text of the Quran, Istanbul, 1937

الصحابة والتابعين، فإنهم يصفون مصحف عثمان (رضي الله عنه) بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل<sup>1</sup>، ولا يقولون إنه الأصل الموثوق به نفسه، فهم يتحاشون الاعتراف بأن القرآن الكريم قد جمع وفق منهج علمي رصين قوامه التوثيق والدقة والتثبت، وقد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات<sup>2</sup>، ومن ضمن هؤلاء الصحابة - بطبيعة الحال - جميع الصحابة الذين حشد لهم آرثر جفري مصاحف خاصة تتضمن بعض الاختلافات، ومنهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي قال: «أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين»<sup>3</sup>.

كما أن زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير اللذين ذكر لهما جفري مصحفين خاصين كانا ضمن اللجنة الرباعية التي شكلها عثمان بن عفان رضي الله عنه) لجمع القرآن في عهده. لقد أدرك المسلمون منذ قديم أن هذه المصاحف الخاصة التي أمر الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بإحراقها على مالأ من الصحابة، وبموافقتهم - ولم يبق منها شيء - قد كتبها أصحابها لأنفسهم، وأنها عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت روايته أحادة أو شاذة، وما نسخت تلاوته، فضلاً عن مختلف التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحرصون على تقييدها للاستعانة بما في استيعاب مضامين الآيات القرآنية.

لقد وجد المستشرق ولش Welch كاتب مادة القرآن في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتهما الجديدة<sup>4</sup> في انفراد ابن مسعود (رضي الله عنه) بمصحف خاص خال من ذكر المعوذتين<sup>5</sup> بابا بلجه كما وجه غيره للتشكيك في مدى تواتر السورتين، وبالتالي التشكيك في مدى موثوقية القرآن الكريم، لقد حاول الرجل تدعيم ما ذهب إليه بنصوص منقطعة وضعيفة تصيدها من (كتاب المصاحف) لابن أبي داود وغيره من الكتب التي لم تتحرر الصحة في النقل. ولا شك

<sup>1</sup> Materials for the History of the Text of the Quran, p:10

<sup>2</sup> د. لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978 ص 323.

<sup>3</sup> السيوطي، الإتقان في علوم القرآن للسيوملي. مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، 1/ 127

<sup>4</sup> Encyclopédie de l'Islam, art ((Quran).T 5 p: 410.

<sup>5</sup> في روايات أخرى أن متحفه خال أينما من الفاتحة، انظر الإتقان 1/184

في أن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) باطل من أساسه، وقد رده كثير من العلماء منهم الإمام الباقلاني (ت 403م) في كتابه «إعجاز القرآن» فقال<sup>1</sup>: ..... ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف (...)) ثم بين كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبراً أحاد لا يسكن إليه، ولا يعول عليه. كما كب الإمام النووي هذه الرواية فقال: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود - في الفاتحة والمعوذتين - باطل وليس بصحيح عنه)<sup>2</sup> وينقل النووي أيضاً عن المازري قوله في تحليل هذه الرواية فيما لو كانت صحيحة: ويحتمل مما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن وكتب ما سواهما وتركهما الشهرتهما عنده وعند الناس)<sup>3</sup>.

ولعل أبرز دليل على أن عدم كتابة المعوذتين في مصحف ابن مسعود لا تعني عدم حفظه لهما أن الفاتحة هي بدورها ليست في مصحفه، فهل يعقل أن ينكر ابن مسعود السورة التي لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

فالمستشرقون إذن بالرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلاً بعد جيل، ولا سيما أن التاريخ لم يذكر لنا تبني أية طائفة من المسلمين لهذا الرأي الباطل المنسوب إلى ابن مسعود، فإنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر، وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم. إضافة إلى خصيصة الحفظ في الصدور التي تميز الأمة الإسلامية، والتي تؤكد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان.

<sup>1</sup> الباقلاني: إعجاز القرآن، حليعة عالم الكتب بيروت 1988 ص 262

<sup>2</sup> السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1/185

<sup>3</sup> شرح النووي على صحيح مسلم 108-110/2

## الثاني: منهج الانتقاء في استعمال المصادر

لا شك أن فعالية المنهج المتبع في أية دراسة، تتوقف على قيمة المصادر والروايات المعتمدة؛ إذ هي القاعدة المغذية والمادة الخام التي تتركز عليها الدراسة، فكلما كانت المصادر رئيسية وأصلية وذات علاقة مباشرة بالموضوع، كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود والمبتغي المقصود من طرف الباحث. وفي إطار البحث الاستشراقي يتبين أن المنهج المتبع في انتقاء المصادر المعينة على بحث الموضوعات المرتبطة بالقرآنيات يتنوع ويختلف تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة، ومدى موضوعية المستشرق وأمانته العلمية أو حياده على الأقل في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية.

وسنبحث في السطور القادمة عن بعض النقاط التي تبرز لنا نوع الخلل المنهجي الذي ينال أحياناً بعض دراسات المستشرقين في هذا المضمار؛ إيماناً منا بأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها. لا لشيء - إلا لكوننا منصبة على موضوع يرتبط بمسألة الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم الذي لا يؤمن به الباحث، ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئياً، وبالتالي لا بد من أن تؤثر فيه قناعاته الدينية في مجال البحث، ولعل أبرز مواطن الخلل يمكن الإشارة إليها ما يلي

### المطلب الأول: اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها

وهذا أمر يمكن أن يلاحظه كل من تتبع بدقة بعض دراسات القوم في مجال القرآنيات، فقد د المصنفات العربية المتعلقة بعلوم القرآن المعتمدة من طرف المستشرقين محدود جداً، وهي في معظمها كتب جامعة لم تتحر الصحة والنقد والرواية السليمة<sup>1</sup> وهكذا نجد أن نولدكه، وبيبل، وبلاشير، وبورتون في مجال جمع القرآن الكريم لا يتجاوزون كتب المصاحف لابن أبي

<sup>1</sup> للتدليل على ذلك لا بد من نظرة عابرة على إحصاء عدد المراجع التي ذكرها بلاشير في مقدمة كتابه ((مدخل إلى القرآن)) فيوجد هنا أنه اعتمد على مائة وثمانية وسبعين كتاباً، ليس منها سوى سبعة وأربعين كتاباً عربياً، كثير منها في الأدب والتاريخ، مثل: تاريخ يعقوبي، ومروج الذهب لمسعودي، وأسد الغابة لابن الأثير، ومقدمة ابن خلدون، والفهرست لابن النديم، وغيرها.

داود، والإتقان للسيوطي، والفهرست لابن النديم، في حين لا نجد عندهم اعتماداً يذكر على الروايات الصحيحة الواردة في كتب الصحاح والسنن أو في مقدمات المفسرين القرآنية (مقدمة ابن جزي مقدمة ابن عطية ومقدمة القرطبي وغيرها):

كما لا نجد إشارة إلى كتاب أبي شامة المقدسي (ت 665هـ) : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بكتاب الله العزيز، أو كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت 794هـ) أو كتاب التبيان للنووي (ت 643هـ) أو كتاب ابن الجوزي فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن أو ما جاء في فتح الباري لابن حجر (ت 852هـ) وغيره من شرح كتب الصحاح والسنن.

من جهة أخرى يلاحظ أن المصنفات المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين هي نفسها التي كان يعتمدونها أسلافهم من المستشرقين القدامى، وذلك بالرغم من صدور كثير من الكتب الموثوق بها والمعتمدة في علوم القرآن، وهذا أمر يسهل التأكد منه من خلال الاطلاع على لوائح المراجع المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين مقارنة بما جاء لدى القدامى منهم. وبذلك يمكن القول بأن حصر المصادر ونوعيتها يكاد يكون تقليداً في البحث الاستشرافي، وهو يرمي إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات نفسها التي نسجها المستشرقون الأوائل، وذلك عن طريق الإشارة إلى الاقتباسات والإحالات ذاتها

تم الاستنتاجات والافتراضات نفسها، وهذا ما يلاحظ من خلال مادة القرآن التي حررها A.T.Welch في دائرة المعارف الإسلامية الاستشرافية في طبعها الثانية. وهي مادة مطولة وجامعة لأبرز علوم القرآن التي درج المستشرقون على الخوض فيها ودراستها. والشيء نفسه يمكن ملاحظته في كتاب نولدكه ((تاريخ القرآن)) وكتاب جفري مواد من أجل دراسة تاريخ النص القرآني وكتاب جون بورتون "جمع القرآن" وكتاب بلاشير "مدخل إلى القرآن".

ومن نواحي الضعف المنهجية التي تدخل في السياق نفسه محاولة دراسة اتجاه معين في التفسير أو تيار معين في مجال من من خلال مجالات علوم القرآن نموذج أو نموذجين يتم اختيارهما، والوقوف عندهما دون غيرهما. مثال ذلك ما اعتمده جولدزهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي<sup>1</sup> فقد كان يرمي إلى تحقيق افتراض بعينه اعتنقه مقدماً واعتسف من

<sup>1</sup> إجناس جولدزهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحلیم النحر، طبعة دار اقرأ ببيروت.

المقدمات واختار من الوسائل والأمثلة في تاريخ التفسير ما يوصله إلى ذلك الغرض، ويحقق له تلك النتيجة بعينها، فاقتصر على دراسة تفسيرين: تفسير الطبري، وتفسير المنار، وقد يكون من حق المؤلف أن يلتزم منهجا يسعف على تصوير افتراض يتخيله، ولكن ليس من الحق أن يقال إن جهده في هذا الصدد كشف صادق عن حقيقة التفسير عند المسلمين. لقد تخير جولدزهر من مناهج المفسرين ما يخدم فكرته ويكشف أثر الالتزام المذهبي في توجيه النص وإنطاقه بمبادئ المذهب وعقائده، فاقتصر على دراسة تفسير محددة (الطبري - الزمخشري- ابن عربي..). ولم يستقص بيان مذاهب التفسير كلها،<sup>1</sup> وقد يكون من حق الباحث أن يسلك أي الطرق المنهجية في بحثه لكي يصبح من الواجب عليه حينئذ أن يلتزم أصول-هذا الطريق طوال بحثه، وألا يؤمن ببعض المنهج ويكفر بالبعض الآخر، ولو فعل المستشرق ذلك واستقصى جوانب التفسير المذهبي كلها من تشريعية فقهية، إلى اللغوية نحوية، أو أثرية موسوعية من خلال جميع كتب التفسير التي كانت - على الأقل - في وقته لتكشفت له حقيقة مغايرة، وهي أن النص القرآني نص خصيب متجدد وثري. فليس سهوا إذن أن يغفل جولدزهر عن آثار أخرى في التفسير، وإنما هو التجاهل المتعمد ليبدو محصول المسلمين من التفسير في النهاية رذاذا

متناثرا فرقتة الأهواء الحزبية والفكرية.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: انتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن.

يكاد يتفق منهج المستشرقين العام في الدراسات القرآنية على تعمد اختيار الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة في بطون المصادر العربية قصد بناء أحكامهم عليها، والتدليل بما على مقاصد وأغراض معينة. ولقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الروايات بعض قصد التشكيك في مصداقية النص القرآني، كما أنم قد يعتمدون بعض

<sup>1</sup> هذا ما يبدو من تقسيم جولدزهر لكتابه إلى خمسة مباحث نم كل واحد منها ما يعتقد أنه يمثل تيارا عاما،

انظر العفحات: 37-286-201-120-73.

<sup>2</sup> إبراهيم شريف، دكتور، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٧



الروايات المنقطعة التي ترمي إلى نقض ما هو مشهور ومعروف لدى المسلمين عن تاريخ النص القرآني، إن ولس كاتب مادة «القرآن في دائرة المعارف الإسلامية الاستشرافية»<sup>1</sup> قد وجد فيما أورده السيوطي في إتيقانه<sup>2</sup> من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم بابا يلجه، لكي يعرض أمام القراء جملة من الروايات الضعيفة التي تسند الأولوية في جمع القرآن تارة إلى عمر رضي الله عنه، وتارة إلى علي رضي الله عنه وينقل عن ابن أبي داود أيضا رواية مفادها أن أبا بكر رضي الله عنه بدأ بالجمع، ثم أكمل ذلك عمر رضي الله عنه، وينقل أيضا رواية عن ابن سعد في طبقاته<sup>3</sup> مفادها أن عمر رضي الله عنه توفي ولم يكمل جمع القرآن.

فمختلف هذه الروايات الضعيفة والمنقطعة تعارض مع ما جاء في صحيح البخاري من أن أول من جمع القرآن هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه<sup>4</sup> وقد وجد معظم المستشرقين في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود (ت 316هـ) ضالهم المنشودة، ومعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت.

### المطلب الثالث: توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ

#### وغيرها

يختلف البحث الاستشراقي في حقل القرآنيات عن المنهج الإسلامي المؤسس على ضرورة اعتماد الموثوق من المصادر والمشهود له بالأولية والتميز، فالمصادر القرآنية الموثوقة ليس فيها ما يسعف القوم في تسويغ ما يصبون إلى تأكيده من أحكام مغرضة، واستنتاجات مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك، ولهذا يلتجئ القوم إلى مصادر أخرى بحثا عما يعينهم على بلوغ مأمولهم فيجدون بغيتهم في كتب الأدب والتاريخ وغيرها دون أدن اكتراث بما شكله

<sup>1</sup> Encyclopédie de l'Islam Tome 5 p 406

<sup>2</sup> الإنقان 1/164

<sup>3</sup> طبقات ابن سعد- 3/212

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم 4986

اعتماد تلك المصادر في قضايا جوهرية ترتبط بالدراسات القرآنية من خلال منهجي كبير، ربما كان المستشرقون أول من نهوا خطورته وعوارفه في أبحاثهم الأخرى.

وهكذا مثلاً يتم الاعتماد على كتاب مروج الذهب للمسعودي، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب الإحياء لغزالي، وكتاب الحيوان للدميري وغيرها في دراسة علوم القرآن والتفسير.<sup>1</sup>

وقد يهدف المستشرق من وراء ذلك إلى افتعال نوع من التشويش والبلبلة في الأذهان، كما فعل الفرنسي بلاشير في معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية؛ حيث أحال في أحد الحواشي على كتاب "الإتقان" ثم قال بعد ذلك:

حسب رواية يقدمها لنا ابن النديم في كتابه "الفهرست" فإن عدد السور المكية 85 وعدد السور المدنية 28، ثم يعقب بقوله: «لاحظوا فان فالجموع 113 سورة!«<sup>2</sup>

وهنا نجد الرجل الذي عرف بمنهجه الصارم وحسه النقدي في البحث لم يجرؤ على أن يقول: ربما وقع سهو في كلام ابن النديم أو أن العدد 86 تحول إلى 85 خطأ أثناء النسخ أو شيء من هذا القبيل ما دام إجماع الأمة الإسلامية، وكذا ما تنطق به الملاي ين من المصاحف المطبوعة على أن عدد سور القرآن 114 سورة.

والواقع أن كثيراً من المستشرقين ودعاة التغريب قد ألحوا على اعتماد مثل هذه الكتب، وأولوها الاهتمام البالغ وأعادوا طبعها وأذاعوا بها، وحرصوا الباحثين من التغريبي ين على اعتمادها مصادر ومراجع؛ وذلك لأنها تفسد الحقائق وترسم صوراً غير صحيحة ولا موثوقة عن واقع الأمور.

<sup>1</sup> انظر اعتماد حولدزهر على هذه الكتب في كتابه رمذاهب التفسير الإسلامي « طبعة دار اقرا، بيروت 1983م في الصفحات التالية: 78-83-90-91، وانظر اعتماد بلاشير على (مروج الذهب) في كتاب Introduction au Coran ص 29 و 76.

<sup>2</sup> Blachère: Opcit p 243, note ;350

## المطلب الرابع : إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات

### المستشرقين السالفة

يبدو أن من أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة تعتمد عدم الاكتراث بموثوقيتها وأولوية بعضها؟ لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يلقي بالاً إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى نقيض ما يذهب إليه ، وهو يعتمد في الغالب إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف من كتب موثوقة ومعول عليها ، وهذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك .

ويبدو أن من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها وقيمتها تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في نقل الروايات، والنصوص القديمة.

إن بلاشير الفرنسي مثلاً لا يتوانى في الإحالة على كتاب ( تاريخ القرآن ) للمستشرق الألماني نولدكه كلما تعلق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات مأثورة<sup>1</sup> تختص بمسألة جمع القرآن - مثلاً- والتي نقلها العلماء المسلمون في كتبهم ، والمثير للغرابة أن يلجأ بلاشير في حاشية واحدة إلى الإحالة على كتاب نولدكه أولاً ، ثم يتبعه بكتاب الواحد في أسباب النزول وتفسير أبي حيان ، ثم الإتيان للسيوطي<sup>2</sup> والمستشرق ولش في مادة ( القرآن ) يقول : ( لا شيء في القرآن يدل على أن معنى ( الأمي ) الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وبدل الرجوع إلى كتب التفسير يحيل مباشرة بعد قوله هذا على ( نولدكه ) في تاريخ القرآن ( 1/14 ) ، وبيل في كتابه ( ص 33 ) ، وبلاشير في مدخله ( ص 6-12 ) .

ويعد لجوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم السابقين أولاً ، ثم الإشارة بعد ذلك إلى المصادر العربية الأصيلة أمر أكاد يكون مطرداً.

<sup>1</sup> انظر مثلاً ص 69 حيث أحال في الحاشية 89 على كتاب نولدكه فيما يخص حديثاً رواه أنس بن مالك.

<sup>2</sup> Blachère: op.cit p 243 note 349 .

<sup>3</sup> Encyclopédie de l'Islam p 404.

والأدهى من ذلك أن نعثر في كتاب بلاشير على حاشية يحيل فيها على كتاب نولدكه ثم يضع بين قوسين إشارة إلى أن نولدكه قد أسند نقله إلى الطبري في تفسيره ، لكن تبين لبلاشير أن الإحالة غير صحيحة ونص عليها ، ومع ذلك نجد الرجل لا يعير المسألة أدنى اهتمام ، بل يمضي قدماً ويستشهد بما ذكره سلفه من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه<sup>1</sup> إضافة إلى كل هذا فإن الترجمة من المصادر الأجنبية كثيراً ما يغيرها لفظ الشيء المترجم ، وبخاصة إذا كان اسم مكان أو اسم شخص غريب لا علم للمترجم به ، فلا ينفع في هذه الحالة إلا الرجوع إلى المصادر الأصلية .

### منهج الاثر والتاثر

هذا المنهج يعنى بالاحذ بالنزعة التاثيرية، وهي نزعة دراسية ياخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الاسلام بعد تجزئتها الى اليهودية والنصرانية- لقد كان المستشرقون القدامى اكثر اهتماما بهذه النزعة في كتاباتهم ، حتى ان احد هم وهو اليهودى ابراهام غايغر A.Geiger اصدر عام 1833م كتابا يحمل عنوانا مثيرا هو: ((ماذا اخذ القرآن عن اليهودية))<sup>2</sup> وقد كان هذا الكتاب ايدانا ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي تهدف الى التنقيب عن كل ما قد يبدو للمستشرقين في القرآن منقولاً ومستقى من اليهودية، وقد اقبلت ابحاث هولاء تفكك مضامين القرآن الكريم ، لتردها الى عناصر تورانية- يهودية مزعومة-

ومما لاشك فيه ان الاحكام التعسفية المرتبطة هذا المنهج تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المثوتة في الانجيل او

<sup>1</sup> R. Blachère : Introduction au Coran p 69 , note 89

ونص كلام بلاشير : « انظر كتاب نولدكه در(تاريخ القرآن) ، ( مع حاشية تحيل على تفسير الطبري لكنه غير صحيح) حيث يورد نولدكه رواية مفادها أن الصحابي أنس بن مالك (ت 91هـ) كان بعد قراءة (أقوم) مثل (أصوب) ( في الآية 6من سورة المزل )

<sup>2</sup> Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Born 1833.

التوراة. وهكذا تكون القصص القرآنية مأخوذة- في زعمهم- عن القصص اليهودية والنصرانية- فرجيس بالشيز- على الرغم من اعتداله في احكامه -يتحدث في كتابه ((معضلة محمد))<sup>1</sup> عن مصدر القصص القرآنية ذاكرا بالخصوص ان مما لفت انتباه المستشرقين التشابه الحاصل بين هذه القصص اليهودية والنصرانية فيقول مثلا: ((ان التأثير النصراني كان واضحا في السور المكية الاولى؛ اذ كثيرا ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائدا في ذلك العهد عن شبه قوى)) ويعرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين مبينا رايه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التي كان تربط بين مؤسس الاسلام والفقراء النصارى بمكة حسب زعمه-

ويذهب بعض المتشركين الى ان كثيرا من الاعلام الواردة في القران ذات اصل عبراني، حتى احدهم وهو المستشرق الفرنسي اليهودي اندرى شوراكى A.Chouraqui قد اصدر منذ اكثر من عشر سنوات ترجمة لمعاني القرآن انتقدتها المستشرقون قبل غيرهم من المسلمين، وقد احتفظ فيها بالاصول العربية لبعض الالفاظ من غير ترجمة، امعانا منه في بيان اصلها العبراني كم يزعم-<sup>2</sup>

كما انه يعطى كثيرا من الالفاظ القرآنية دلالات غريبة باللغة الفرنسية، وعند البحث العميق يتبين ان الرجل يريد القفز على المانى المعروفة والمتداولة-والتي اتفق عليها مترجمو معاني القرآن- الى معان شاذة هي في الاصل احدى المانى اللغوية لاصل اللفظة، لكن لا يصلح استعمالها لى تودى الترجمة المناسبة للفظ القرآنية-

ان شوراكى يذهب في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن التي تقع في ثلاث وعشرين صفحة الى ان لغة القرآن تكاد تكون اقرب الى العبرية التوراتية منها الى العربية المعاصرة،<sup>3</sup> وهو في ذلك يرمى بشكل غريب الى ان معظم الالفاظ القرآنية لها ما يقابلها في لغيه الام، وبالتالي فان مصدر

<sup>1</sup> R,Blachere: Le problem de Mohomet, PUF- Paris 1952 p 42.

<sup>2</sup> Le Coran: L'Appel, trduction de andre Chouraqui, ed Robert Laffont- Paris, 1991.

<sup>3</sup> مقدمة الترجمة ص 18

القرآن الرئيسي هو التوراة، وهذا ما يبالغ في تأكيدده في تعليقاته وحواشيه الكثيرة التي يمكن القول بان معظمها وضع اساسا لبيان اصول الالفاظ القرآنية- حسب زعمه- في التوراة- فعبرة (رب العالمين) يترجمها Rabb des univers فيترك لفظة Rabb كما هي، لانها تعنى في العربية- كما يقول- نفس ما تعنيه في العبرية. ولفظة الشيطان يتركها كما هي Shaitan ويقول انما هي مرادفة للمعنى التوراتي-

ولفظة الامن يترجمها شوراي amen 'اومبي . كما يقول .- لفظة (توراتية) تدل على الملجا والملاذ، ولذك قوله تعالى مثابة للناس وامنا(البقرة: ۱۲۵) بقوله en lieu de retour et d'amen ولاشك ان القارى الذى يجهل اصل كلمة amen التوراتي لا يستطيع ان يربط بين المعين، ان هذا المنهج الذى يجعل القرآن متأثرا ومقتبسا من التوراة والانجيل، ينفى بطبيعة الحال كل اصالة للدين الاسلامى ولربانية المصدر القرآنى . والمستشرقون عندما يطبقون هذا المنهج على القرآن فانهم يرجعون اسسه ومبادئه ومضامينه الى اصول يهودية ونصرانية-

فهذا المستشرق المجرى اجناس جولديزهر Goldziher (ت 1921م) يقول بشئ من التحايل والدهاء وهو يحاول النفاذ الى القرآن بحثا عن عناصر اجنبية يشده الى اصوها المدعاة: ((القرآنى مصدق لما سبق من الرسالات الدينية، وقد استصى منها بعد فترة من الرسل ما هو جوهر الدين))- ثم يحاول ان يعتسف من الادلة ما يعزز دعواه فيقول: ((شعيرة التي كانت بصورتها الاولى من قيام وقراءة وبما فيها من الركوع والسجود وبما يسبقها من قضيء تتصل بالنصرانية الشرقية- والصوم الذى جعل اولاً في يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الاكبر وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها الاسلام او بالاحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمد صلى الله عليه وسلم اهمية كبرى لنية التقوى التي يحب ان تصحب هذه الشعيرة حين يقول: "لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاءُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ

<sup>1</sup> جولديزهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وزميله، مصر، 1948، ص 17

وهكذا يكون القرآن في نظر هذا المستشرق وغيره من زملائه اليهود قد تائر بافكار يهودية تسربت اليه، وتضمن مصطلحات وشعائر دينية يهودية اقتبست من التوراة، كما ان قصص الانبياء واسماءهم انما اخذت عن اليهود، انهم يريدون ان يلجوا الى هذا المنهج الخطير الذي بزعم تائر القرآن وغيره من الكتب السماوية لكي ينفعا ربانية المصدر القرآني ولكي يشتموا اختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه.

ان تسبع المششرقين بمنهج الاثر والتاثير راجع الى كون هذا المنهج قد طبق بصورة صارمة في بيتنهم، ذل ك ان النهضة الاوروبية قد تاست على الحضارة اليونانية التي تعد الميراث القديم للفكر الغربي، وهكذا كلما انشى مذهب فكري وديني جديد وجد له نظير في الحضار اليونانية القديمة، ومن خلال هذا تم تطبيق هذا المنهج على كل معطبات التراث الاسلامي ومنها حقل القرآنيات، وذل ك من غير اكثارات باصالة التراث الاسلامي ذى الاصول والاسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية اصيلة، مستمدة مباشرة من الوحي الالهي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

كتايبات

- ابراهيم شريف، دكتور، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٢ء،
- اجناس جولدزهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، طبعة دار اقرا ببيروت.
- الباقلائي: إعجاز القرآن، حليعة عالم الكتب بيروت 1988
- جولدزهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وزميله، مصر، 1948،
- د. لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن للسيوملي. مطبعة دار الكتب العلمية بيروت،

- Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Born 1833.
- Arthur Jeffery, Materials for the History of the Text of the Quran, Istanbul, 1937
- Le Coran: L'Appel, trduction de andre Chouraqui, ed Robert Laffont- Paris, 1991.
- R,Blachere: Le problem de Mohomet, PUF- Paris 1952
- R. Blachère : Introduction au Coran, Brill, 1978